

الْآخِرَةَ كَمَا يَسَى الْكُفَّارُ مِنْ أَحْصَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾.

ف قيل لهم: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا﴾ مغضوبًا عليهم ﴿يَسُوءُوا﴾ من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله ﷺ وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة ﴿كَمَا يَسُوءُ الْكُفَّارُ﴾ من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء. وقيل: ﴿مَنْ أَحْصَابِ الْقُبُورِ﴾ بيان للكفار أي: كما يسئ الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعا يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة الصف مكية

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

﴿لِمَ﴾ هي لام الإضافة داخلية على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك: بم وفيم ومم وعم وإلام وعلام. وإنما حذفت الألف لأن ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم. وقد جاء استعمال الأصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان، ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف، كما سمع ثلاثة أربعة بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة. وهذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف الموعد. وروي أن المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا القتال: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه ولبئنا فيه أموالنا وأنفسنا. فلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله، فولوا يوم أحد، فعيرهم، وقيل: لما أخبر الله بثواب شهداء بدر، قالوا: لئن لقينا قتالاً لنفرغن فيه وسعنا، ففروا يوم أحد ولم يفوا. وقيل: كان الرجل يقول: قتلتم ولم يقتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، وصبرت، ولم يصبر، وقيل: كان قد أذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله

آخر. فقال عمر لصهيب: أخبر النبي عليه السلام<sup>(2)</sup> أنك قتلته، فقال: إنما قتلته لله ولسوله، فقال عمر: يا رسول الله قتله صهيب، قال: «كذلك يا أبا يحيى» قال: نعم. فنزلت في المنتحل، وعن الحسن: نزلت في المنافقين ونداؤهم بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم هذا من أقصح كلام وأبلغه في معناه.

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾.

قصد في ﴿كَبُرَ﴾ التعجب من غير لفظه كقوله: غلت ناب كليب بواؤها ومعنى: التعجب تعظيم الأمر<sup>(3)</sup> في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله وأسند إلى أن تقولوا: ونصب ﴿مَقْتًا﴾ على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه، واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه ومنه قيل: نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفضله ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك، وعن بعض السلف أنه قيل له: حدثنا، فسكت، ثم قيل له: حدثنا، فقال: تأمروني أن أقول ما لا أفعل.

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُبْتَغُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوسٍ ﴿٤﴾.

فاستعجل مقت الله في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ عقيب ذكر مقت المخلف<sup>(4)</sup> دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا، وقرأ زيد بن علي: يقاتلون بفتح التاء. وقرئ: يقتلون ﴿صَفًا﴾ صافين أنفسهم أو مصفوفين ﴿كَانَهُمْ﴾ في تراصهم من غير فرجة ولا خلل. ﴿بَيْنَانٍ﴾ رص بعضه إلى بعض مرصف، وقيل: يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة القتال راجلا لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة، وقوله: صفاً كأنهم بنيان حالان متداخلتان<sup>(5)</sup>.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ وَقَدْ نَزَّلْنَا إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْهَاسِلِينَ ﴿٥﴾

== أصواتكم فوق صوت النبي﴾ فالنهي العام ورد أولاً، والمقصود اندراج هذا الخاص فيه، كما تقول للمقترف جرماً معيناً: لا تفعل ما يلصق العار بك، ولا تشاتم زيدا، وفائدة مثل هذا النظم النهي عن الشيء الواحد مرتين، مندرجاً في العموم ومفرداً بالخصوص، وهو أولى من النهي عنه على الخصوص مرتين، فإن ذلك معبود في حين التكرار، وهذا يتكرر مع ما في التعميم من التعظيم والتهويل، والله أعلم.

(5) قال أحمد: يريد أن معنى الأولى مشتمل على معنى الثانية، لأن التراص هيئة للإصطفاف، والله أعلم.

(1) الثعلبي ابن مردويه الواحدي في تفاسيرهم، زيلي 465/3.

(2) الثعلبي في تفسيره الزيلي 7/4.

(3) قال أحمد: وزائد على هذه الوجوه الأربعة وجه خامس، وهو تكراره لقوله: ﴿مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو لفظ واحد في كلام واحد، ومن فوائد التكرار التحويل والإعظام، وإلا فقد كان الكلام مستقلاً لو قيل: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ذلك فما إعادته إلا لمكان هذه الفائدة الثانية، والله أعلم.

(4) قال أحمد: صدق الأوّل كاليسطة العامة لهذه القصة الخاصة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا =

يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾.

من معنى الإرسال أم باليكم! قُلْتُ: بل بمعنى الإرسال، لأن إليكم صلة للرسول فلا يجوز أن تعمل شيئاً، لأن حروف الجز لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل، فإذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن أين تعمل. وقرئ: هذا ساحر مبين، وأي الناس أشد ظلاماً ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين، فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله: لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق: هذا ساحر، لأن السحر كذب وتمويه. وقرأ طلحة بن مصرف: وهو يدعي، بمعنى: يدعي دعاه وأدعاه نحو لمسه والتمسه، وعنه: يدعي بمعنى يدعو وهو الله عز وجل.

رُبُّدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَأَعْيَتُ نُورِهِ، وَكَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾.

أصله يريدون أن يطفؤا كما جاء في سورة براءة، وكان هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيداً له لما فيها من معنى الإرادة في قولك: جئتكم لإكرامك. كما زيدت اللام في لا أبالك تأكيداً لمعنى الإضافة في لا أبالك. وإطفاء نور الله بأفواههم تهكم بهم في إرانتهم إبطال الإسلام بقولهم: في القرآن: هذا ساحر، مثلث حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه.

﴿وَاللَّهُ مَتَمُّ نُورِهِ﴾ أي: متم الحق ومبلغه غايته. وقرئ: بالإضافة.

مُرَّ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا رَسُولَهُمْ بِالْأَعْيُنِ وَيَدِّ لَيْطِهِمْ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهَ الْمُنَكَّرُونَ ﴿١٠﴾.

﴿وبين الحق﴾ الملة الحنيفية ﴿ليظهره﴾ ليعليه ﴿على الذين كلفه﴾ على جميع الأديان المخالفة له، ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام، وعن مجاهد: إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام، وقرئ: أرسل نبيه.

يَكْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمِ كُفْرِهِمْ إِنَّ عَلِيمًا لَلْإِيمِ ﴿١١﴾.

﴿تنجيكم﴾ قرئ: مخففاً ومثقلاً.

﴿واذ﴾ منصوب بإضمار انكر أو وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا ﴿تؤذونني﴾ كانوا يؤذونه بانواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه، وجود آياته، وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه، وعبائهم البقر، وطلبهم رؤية الله جهرة، والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه ﴿وقد تعلمون﴾ في موضع الحال أي: تؤذونني عالمين<sup>(1)</sup> علماً يقيناً ﴿أني رسول الله إليكم﴾ وقضية علمكم بذلك وموجبة تعظيمي وتوقيري، لا أن تؤذوني وتستهنوا بي؛ لأن من عرف الله وعظمته عظم رسوله علماً بأن تعظيمه في تعظيم رسوله، ولأن من آذاه كان وعيد الله لاحقاً به ﴿فلما زاغوا﴾ عن الحق ﴿ازاغ الله قلوبهم﴾ بأن منع الطافه عنهم ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ لا يطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف.

فإن قُلْتُ: ما معنى قد في قوله: ﴿وقد تعلمون﴾؟ قُلْتُ: معناه التوكيد كأنه قال: وتعلمون علماً يقيناً لا شبهة لكم فيه. قيل: إنما قال: يا بني إسرائيل، ولم يقل: يا قوم كما قال: موسى لأنه لا نسب له فيهم<sup>(2)</sup> فيكونوا قومه والمعنى: أرسلت إليكم في حال تصديقي ما تقدمني.

إِذ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْبُرْهَانِ وَبَشِيرًا يُبَشِّرُ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَنْتُمْ أَحَدٌ مَلَآئِكَةُ يَأْتِيَنَّهُمْ قَالُوا مَنَّا سِحْرٌ شَيْئٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَمْلَأُ مِنْ أَنْتَرَفَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٧﴾.

﴿من التوراة﴾ وفي حال تبشيري ﴿يرسل يأتي من بعدي﴾ يعني: أن ليني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعاً ممن تقدم وتأخر وقرئ: ﴿من بعدي﴾ بسكون الياء وفتحها. والخليل وسيبويه يختار أن الفتح، وعن كعب أن الحارثيين قالوا لعيسى: يا روح الله هل بعدنا من أمة؟ قال: نعم. أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء، يرضون من الله باليسير من الرزق، ويرضى الله منهم باليسير من العمل.

﴿إن قُلْتُ﴾ بم انتصب مصدقاً ومبشراً بما في الرسول

== في تقليل الأصل وعليه:

قد أترك القرن مصفراً أنامله

وإنما مدح نفسه بكثرة هذا الفعل منه عكس دينه الأصلي، ولا يقال: أن حملها في الآية على التثنية متعذر؛ لأن العلم معلوم التعلق لا يتكرر ولا ينتقل؛ لانا نقول يعبر عن تمكن الفعل وتحققه وتأكده وبلوغه الغاية في نوعه، بما يعبر به عن التثنية، وهو تعبير صحيح، إلا ترى أن قوله: ﴿ربما يؤذون كفروا﴾ وهو من هذا القبيل، فإن المراد شدة وذم ذلك وبلوغه أقصى منتهاه لا غير، والله الموفق.

(2) قال أحمد: وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إذ قال لهم شعيب: لأن شعيباً لم يكن من قوم من أرسل إليهم.

(1) قال أحمد: أهل العربية تقول: إن قد تصحب الماضي لتقريبه من الحال، ومنه قول المؤنن: قد قامت الصلاة، وتشتمل المصاحبة للماضي أيضاً على معنى التوقع، فلذلك قال سيبويه: قد فعل جواب لما يفعل، وقال الخليل: هذا الخبر لقوم ينتظرونه، وأما مع المضارع فإنها تفيد التقليل، مثل: ربما كقولهم: إن الكذوب قد يصدق، فإذا كان معناها مع المضارع التقليل، قد دخلت في الآية على مضارع، فالوجه والله أعلم أن يكون هذا من الكلام الذي يقصدون به الإفراط فيما ينكس عنه، وتكون قد في هذا المعنى نظير ربما في قوله: ﴿ربما يؤذون كفروا لو كانوا مسلمين﴾ فإنها في هذا الموضع أبلغ من كم في التثنية، فلما أوردت ربما في التثنية على عكس معناه الأصلي في التقليل، فكنكك إيراد قد ههنا لتكثير علمهم، أي: تحقيق تكديده على عكس معناه الأصلي ==

وَأَنْزَلَ نُوحًا فَوْقَ الْبَابِ وَرَبَّنَا إِنَّا أُلِّمْنَا لَعْنَةً لَّعْنَةُ الْبَاطِلِ وَأَلَّيْنَاكَ يَا حَسْبُ الْوَالِدِ ﴿١٧﴾

﴿واخرى تحبونها﴾ ولكن إلى هذه النعمة المنكورة من المغفرة والثواب في الأجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم ثم فسرها بقوله: ﴿نصر من الله وفتح قريب﴾ أي: عاجل وهو فتح مكة، وقال الحسن: فتح فارس والروم. وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل.

فإن قُلْتُ: علام عطف قوله: ﴿ويُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟ قُلْتُ: على تؤمنون لأنه في معنى الأمر كأنه قيل: آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم، وبشّر يا رسول الله المؤمنين بذلك.

فإن قُلْتُ: لم نصب من قرأ نصرًا من الله وفتحًا قريبًا! قُلْتُ: يجوز أن ينصب على الاختصاص أو على تنصرون نصرًا ويفتح لكم فتحًا، أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى نصرًا من الله وفتحًا.

يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا كُفْرًا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ تَمَامَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَسْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٧﴾

قري: كونوا أنصار الله وأنصار الله. وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله وفيه زيادة حتم للنصرة عليهم.

فإن قُلْتُ: ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارًا<sup>(3)</sup> بقول عيسى صلوات الله عليه: ﴿من أنصاري إلى الله﴾! قُلْتُ: التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد: كونوا أنصارًا لله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم: من أنصاري إلى الله.

فإن قُلْتُ: ما معنى قوله: من أنصاري إلى الله؟ قُلْتُ: يجب أن يكون معناه مطابقًا لجواب الحواريين.

﴿نحن أنصار الله﴾ والذي يطابقه أن يكون المعنى: من جندي متوجهًا إلى نصرته الله وإضافة أنصاري خلاف إضافة أنصار الله، فإن معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله، ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرته الله، ولا يصح أن

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ يُبَشِّرُ لَكُمْ دُونَكُمْ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَكَرُونَ لَيْفَةً فِي جَنَّاتٍ عَالِيَةٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٧﴾

و﴿تؤمنون﴾ استئناف كأنهم قاما كيف نعمل؟ فقال: تؤمنون<sup>(1)</sup>، وهو خبر في معنى الأمر ولهذا أجيب بقوله: ﴿يغفر لكم﴾ وتدل عليه قراءة ابن مسعود: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا.

فإن قُلْتُ: لم جاء به على لفظ الخبر؟ قُلْتُ: للإيدان بوجوب الامتثال، وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجاهد موجودين، ونظيره قول الداعي: غفر الله لك، ويغفر الله لك، جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت.

فإن قُلْتُ: هل لقول الفراء أنه جواب هل أدلكم وجه؟ قُلْتُ: وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة، والتجارة مفسرة بالإيمان والجاهد، فكانه قيل: هل تجرون بالإيمان والجاهد يغفر لكم.

فإن قُلْتُ: فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما: تؤمنوا وجاهدوا؟ قُلْتُ: وجهها أن تكون على إضمار لام الأمر كقوله:

محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا

وعن ابن عباس أنهم قالوا: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فنزلت هذه الآية، فمكثوا ما شاء الله يقولون: ليتنا نعلم ما هي فلهم الله عليها بقوله: ﴿تؤمنون﴾. وهذا دليل على أن تؤمنون كلام مستأنف وعلى أن الأمر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها إليه أوقع فيها وأقرب من قولها له مما فوجئت به ﴿نلكم﴾ يعني: ما نكر من الإيمان والجاهد ﴿خير لكم﴾ من أموالكم وأنفسكم.

فإن قُلْتُ: ما معنى قوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾؟ قُلْتُ: معناه إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرًا لكم<sup>(2)</sup> حينئذ، لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجاهد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون.

(1) قال أحمد: إنما وجه إعراب الفراء بما نكر؛ لأنه لو جعله جواباً لقوله: ﴿هل أدلكم﴾ فإنكم إن أدلكم على كذا وكذا أغفر لكم، فتكون المغفرة حينئذ مرتبة على مجرد دلالة إياهم على الخير وليس كذلك إنما ترتب المغفرة على فعلهم لما لهم عليه لا على نفس الدلالة، فلذلك أول ﴿هل أدلكم على تجارة﴾ بتأويل: هل تجرون بالإيمان والجاهد حتى تكون المغفرة مرتبة على فعل الإيمان والجاهد لا على الدلالة، وهذا التأويل غير محتاج إليه، فإن حاصل الكلام إذا صار إلى هل أدلكم، أغفر لكم التحق ذلك بأمثال قوله تعالى: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ فإنه رتب فعل الصلاة على الأمر بها، حتى كأنه قال: فإنك إن تقل لهم أقيموا يقيموها، وللقائل أن يقول: قد قيل لبعضهم: أقم الصلاة فتركها، فالجواب عنه: أن الأمر الموجه على المؤمن الراسخ في الإيمان لما كان مظنة لحصول الامتثال، جعل كالمحقق وقوعه =

(2) قال أحمد: كان يجري الشرط على حقيقته وليس بالظاهر؛ لأن علمهم لذلك محقق، إذ الخطاب مع المؤمنين والظاهر أنه من وادي قوله: ﴿ها أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذكروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ والمقصود بهذا الشرط: التنبيه على المعنى الذي يقتضي الامتثال والهباء الحمية للطاعة، كما تقول لمن تأمره بالانتصاف من عدوه: إن كنت حراً فانتصر، تريد أن تثير منه حمية الانتصاف لا غير، والله أعلم.

(3) قال أحمد: كلام حسن وتمام على الذي أحسن أن يميز بين الاضافتين المنكورتين، بأن الأولى محضة والثانية غير محضة فتنبه لها، والله الموفق.

وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٧﴾

﴿وَأَخْرَيْنَ﴾ مجرور عطف على الأميمين يعني: أنه بعث في الأميمين الذين على عهده وفي آخرين من الأميمين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم، وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم. وقيل: لما نزلت قيل: من هم يا رسول الله؟ فوضع يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء». وقيل: هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم القيامة. ويجوز أن ينتصب عطفًا على المنصوب في ويعلمهم أي: يعلمهم ويعلم آخرين، لأنَّ التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندًا إلى أوله، فكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه. ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ في تمكينه رجالًا أميًا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إياه من بين كافة البشر.

ذَلِكَ فَضَلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٨﴾

﴿ذلك﴾ الفضل الذي أعطاه محمدًا وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغايبين هو ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ إعطائه وتقتضيه حكمته.

مَثَلُ الَّذِينَ خُلِقُوا عَلَى فِطْرَةِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْجِمَارِ تَتَحَرَّبُ  
أَتَعَابًا ۗ يَشْتَرُونَ بِهَا أَسْفَارًا يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ لَقَدْ لَعَنَّ الَّذِينَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمَلُهُمْ خَالِدٌ مُبْرَأٌ مِنَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ الْبُيُوتُ الْمُنِيرَاتُ ﴿٦٩﴾

شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقرآؤها وحفاظ ما فيها ثم أنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بأياتها، وذلك أن فيها نعت رسول الله ﷺ والبشارة به، ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفارًا أي: كتبًا كبارًا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبه وظهره من الكد والتعب، وكل من علم ولم يعمل بعلومه فهذا مثله وبشس المثل. ﴿بشس﴾ مثلاً.

﴿مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد ﷺ. ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها. ثم لم يحملوها، ثم لم يعملوا بها فكانت لهم يحملوها. وقرئ: حملوا التوراة أي: حملوها، ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل. وقرئ: يحمل الأسفار.

فَإِنْ قُلْتُمْ: يَحْمِلُ مَا مَحَلُّهُ؟ قُلْتُمْ: النَّصَبُ عَلَى الْحَالِ أَوْ الْجَرُّ عَلَى الْوَصْفِ، لِأَنَّ الْحِمَارَ كَاللَّيْثِ فِي قَوْلِهِ: وَلَقَدْ أَمَرَ عَلَى اللَّيْثِ بِسَبْنِي. هَادٍ يَهُودٍ إِذَا تَهَوَّدَ.

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ

يكون معناه من ينصرتني مع الله لأنه لا يطابق الجواب. والدليل عليه قراءة من قرأ من أنصار الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً. وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص، والحواري الدمك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: الزبير ابن عمتي وحواريي من أمتي (1) وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب ببيضونها. ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل. ﴿فأمنت طائفة﴾ منهم يعيسى ﴿وكفرت﴾ به ﴿طائفة قايينا﴾ مؤمنيه على كفارهم فظهروا عليهم، وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحنة. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الصف (2) كان عيسى مصليًا عليه مستغفرًا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيق».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة الجمعة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

قرئت صفات الله عزَّ وعلًا بالرفع على المدح. كانه قيل: هو الملك القدوس، ولو قرئت منصوبة لكان وجهًا كقول العرب: الحمد لله أهل الحمد. الأمي منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم، وقيل: بدأت الكتابة بالطائف أخنوها من أهل الحيرة، وأهل الحيرة من أهل الأنبار.

هُوَ أَرَادَ بِكَ فِي الْأَيُّمِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَسْأَلُوا عَلَيْهِمْ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْسَ صَلَّيْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٢﴾

ومعنى: ﴿بعث في الأميمين رسولاً منهم﴾ بعث رجلاً أميًا في قوم أميين كما جاء في حديث شعيب: «إني أبعث أعمى في عميان وأميًا في أميين» (3). وقيل: منهم كقوله تعالى: من أنفسمك يعلمون نسبه وأحواله، وقرئ في الأميمين بحذف ياء النسب ﴿يتلوا عليهم آياته﴾ يقرؤها عليهم مع كونه أميًا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أمي بغير تعلم آية بينة ﴿ويذكهم﴾ ويظهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ القرآن والسنة. وإن في ﴿وإن كانوا﴾ هي المخففة من الثقلية واللام لليل عليها أي: كانوا في ضلال لا ترى ضلالاً أعظم منه.

(3) قال الزيلعي لم أجده إلا من قول وهب بن منبه رواه الحافظ أبو

نعيم في دلائل النبوة 11/4.

(1) السبائي في سننه الكبرى كتاب المناققين زيلعي 7/4.

(2) الشعبي والواحدي وابن مردويه زيلعي 8/4.